

الأبحاث

بقلم موريس صقر

نشرت « الأدب » في عددها الأخير أربعة أبحاث تناول مواضيع مختلفة ، ولكنها تلتقي فيما بينها في معالجة الشيوعية من نواح خاصة أحيانا ، وعمامة أحيانا أخرى .

وهذه الأبحاث هي : « معركة العرب معركة الإنسانية » للدكتور عبدالله عبدالدائم ، والدراسة النقدية التي خصتها الشاعرة نازك الملائكة بمسرحية جان بول سارتر « الأيدي القذرة » ، ومقال السيد ايليا حريق عن « المادبة الديالكتية ونظرتها الى التاريخ » وتحليل كتاب أرثر كستلر « ظلام في النهار » بقلم السيد محمد حيدر .

أبحاث أربعة يشكل كل واحد منها قطعة قائمة بذاتها ، لها محورها ومدارها ومضاعفاتها الخفية ، ولكن عندما ننظر إليها جملة تبدو لنا كأنها تكمل بعضها بعضا من حيث الإضواء التي تلقيها على المسألة الكبرى التي يواجهها العالم منذ أكثر من قرن والتي بدأت تقض مضاجع العرب منذ انتفاضة العراق في ١٤ تموز ، اعني بها المسألة الشيوعية .

معركة العرب معركة الإنسانية

محور بحث الدكتور عبدالله عبدالدائم هو القومية العربية . انه يضع هذه القومية على قدميها بعد ان يحلل معطياتها احدثه تحللا جوهريا فتتجلى فاعة القوام ، متماسكة الاعضاء منسنة البنية منرفقة الوجه ، ثم يضع السياسة الغربية والسياسة السوفياتية على محك هذه القومية ليظهر ما فيها من دجل ومكر وزيغ .

يقول الدكتور عبد الدائم في مطلع بحثه ان ما يميز الامة العربية اليوم عما كانت عليه في الماضي هو انها بدأت منذ سنوات تعي وجودها وعيها نضاليا بعد ان ظلت فترة طويلة من الزمن هاجمة ، فاقدة الوجدان . ولم يعلل اسباب هذه اليقظة بل اكتفى بالإشارة الى انها جاءت نتيجة نضال العرب وكفاحهم الطويل وتحاكمهم مع العالم الاجنبي .

كان باستطاعة الباحث ان يتعمق اكثر من ذلك في نسيان العوامل التي ادت الى يقظة العرب . كان باستطاعته ان يشدد بنوع خاص على الدور الذي لعبه انتشار المعرفة وتقدم العلوم والتقنية وما احدثته من ثورة عالية في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والمقاتدية ومن انعكاسات في الوضع العربي والنفس العربية . ولمل ضيق مجال البحث لم يسمح له بالتعمق في هذه النقطة الاساسية .

ويخلص الدكتور عبد الدائم ، بعد المقدمة ، الى اقرار حقائق ثلاث :

١ - ان الامة العربية لن تكون فعلا ، « ما هي ولن تجود بعطائها الانساني .. الا اذا اجتمعت اوصالها المقطعة وانثلقت عظامها المنزاحة » .
٢ - ان التربية القومية هي « الجو الضروري لترعرع المعاني الانسانية » في الامة العربية .

٣ - ان الحياة القومية الواعية المتأصلة هي التي تمكن الامم في بسده نهضتها من المحافظة على وجودها وتلافي الانسياق مع الكتل المتصارعة لافساح البلدان الضعيفة .

هذه الحقائق التي استنتجها الكاتب وعبر عنها بكلام بليغ هي ولا شك جوهريه ، ولكنه اهمل حقيقة اخرى لا تقل عنها اهمية وهي ان الامة العربية لن تتوحد وتحقق ذاتها وتسهم اسهاما واسعا في الاعمال الحضارية الا بعد ان تكون قد التحقت بركب العلوم والتقنية وشرعت تخلق وتبدع في هذا الميدان الذي يميز الحضارة البشرية الطالمة .

ثم يلاحظ الكاتب ان اصطدام القومية العربية بالغرب والشرق معا قد فضح المسكرين معا . فالمسكر الغربي ، بعد ان انكر على الشيوعيين اساليهم واتهمهم بالكذب والمكر وخنق الحريات ، ونسب لنفسه شرف احترام الحقيقة والقانون والمقول والنفوس ، تنكر هو ذاته للمبادئ التي كان ينادي بها ، اذا استباح استعمار البلدان المتخلفة واستثمر مرافقها والحياة على دماء شعوبها .

ومن جهة ثانية ، فالمسكر السوفياتي ، الذي اخذ على المسكر الغربي تنكره للمبادئ وامعانه في استغلال الشعوب الضعيفة ، لم يستطع بدوره الا ان يقع فيما هو ادهى من ذلك . فالنظام الشيوعي اوغل وما يزال بوغل في اصطناع الحيل واستعمال العنف وتزييف الحرية وجعلها صنما جامدا « بعد لينينج على اقدامه الدياتون به » . والشيوعية لم تستطع في بلادها ان تحقق ، مقابل الحريات « الصورية » التي تنسبها الى الدول الراسمالية ، حرية شخصية حية كما وعدت في البداية ، « حرية حضارة بروليتارية لا بطالة فيها ولا استثمار ولا حرب » . ويؤكد الكاتب : « ان الانتقال الذي قال به ماركس من الحرية الصورية الى الحرية الفعلية امر لم يتم بعد ولا يرجى ان يتم » . ذلك لان الحرية نجمت في المسكر السوفياتي واصبحت قالباً فارغاً ، واصبح الدفاع منصبا على الحرية - القالب الخالية من اي مضمون بدلا من ان ينصب على الناس الاحرار ... وهكذا ابتعدت ثورة عام ١٩١٧ عن اهدافها وتردت تردبا لم يعد من الممكن معه الرجوع الى معين الثورة او معاودة التجربة من جديد .

هنا كان يجدر بالباحث ان يذكر اسباب تزييف الحرية وتردي الثورة في المسكر الشيوعي . اذ لا يكفي ان نلاحظ هذا الشيء الخطير بل يجب ان نملئه وننفذ الى العوامل التي ادت اليه .

وفي عرفنا ان اسباب تحويل الحرية الى صنم وابتماد ثورة عام ١٩١٧ عن اهدافها تكمن في العقيدة الماركسية ذاتها . فهذه العقيدة

في مجملها تحتوي على نواقص واخطاء وعناصر فساد كان لا بد لها من ان تؤدي ، عند التطبيق ، الى الفظائع التي تشهدها اليوم . وسنعود الى توضيح هذه الناحية في نقدنا لمقال السيد ايليا حريق .

ويتكلم الدكتور عبد الدائم عن الصدام الحالي بين القومية العربية والشيوعية ، فيلاحظ ان التبدل الذي وعد به خروشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي، عندما ايد التعايش السلمي والحياد الايجابي وعدم التدخل في شؤون الغير ، واعلن ان هناك اكثر من طريق لبناء الاشتراكية ، ان هذا التبدل المزعوم لم يكن سوى « طعم » لاصطياد الشعوب الضعيفة . ان حوادث العراق الاخيرة برهنت على ان الاتحاد السوفياتي ما يزال متمسكا بالنهج الستاليني ، وفيما له وانه لا يساعد بلدا من البلدان الا املا بتقوية الحزب الشيوعي المحلي فيه وتمكينه من الاستيلاء على الحكم ..

لقد سقط الفئاع الذي حاول خروشوف ان يستر به حقيقة السياسة السوفياتية . والفضل في ذلك يعود الى الحركة العربية الحرة التي يقودها عبد الناصر والتي رفضت ان تتخلى عن مبدأ الحياد الايجابي وان ترتبط بالعجلة السوفياتية ، مما اخرج قادة الكرملين وارغمهم على كشف اوراقهم .. وهكذا « برزت الشيوعية امام العالم من جديد معتدية عنيفة، تلجأ الى الارهاب والحيل والخداع وتبعت على الثورات الدامية وتطوح بالوطنين الاحرار وتجرب ان ترغم شعبا بكامله على غير ما يعتقد ..»

وينتهي الدكتور عبد الدائم الى الاستنتاجين التاليين :

1 - لن تنجح سياسة الكذب والارهاب واراقة الدماء التي انتهجتها الشيوعية العالمة . لن تنجح لان الشعوب قد استيقظت وادركت معنى الحرية .

2 - ان القومية العربية هي التي فضحت اللعبة السوفياتية الجديدة فاسدت للشرية جمعاء خدمة جلي . ويمكن التأكيد ان ما يجري اليوم في العراق هو « تحد جديد » يقوم به الانسان الشيوعي ضد الانسان الحر . والعربي في هذه المعركة هو « الحارس الذي يحول بين الانسانية وبين ان تتردى في هاوية تنكر « اعلم لقيم الانسان وحضارته .. » من هنا يصح القول ان معركة العرب ضد الاستعمار الغربي والشيوعية لا تعني العرب وحدهم ، بل تعني جميع الشعوب وتشكل جبهة مهمة من جهات « معركة الانسانية » في سبيل الحفاظ على ما وصل اليه العقل البشري والضمير البشري من قيم وتراثات .

نازك الملائكة و « الايدي القذرة »

مرة اخرى تبرهن الشاعرة نازك الملائكة على انها نقادة فذة ، حادة النظر واسعة الاطلاع والافاق ، تفوص الى اغوار ال اثر الادبي وتعمل فيه تمحيصا وتشريحا حتى تستخرج منه جميع ما يحتويه من عناصر صالحة او طالحة وجميع ما يخبئه من خلجات وغايات ومن طاقة خفية وقوة ايحائية . وهي لا تكفي بالفوص والشريح بل ترتفع فوق ال اثر وتفانر بينه وبين غيره من ال اثار القريبة او البعيدة لتلقي اضواء جديدة على ابرز ما في بنيانه وادق ما في ثناياه .

وهذا ما يللمسه القارئ عند مطالعته الدراسة النقدية التي خصتها نازك بمسرحية جان بول سارتر الشهيرة « الايدي القذرة » . تنتقد نازك في بدء دراستها اسلوب سارتر في تقديم الزمن وتأخيرته ، ان مقدمة المسرحية تجري في الحاضر ، ثم تأتي خمسة فصول تنبعث

فيها احداث الماضي ، واخيرا تأتي الخاتمة لتعيدنا الى الحاضر .. تقول الناقدة ان هذا الاسلوب في معالجة الزمن احدث بعض الاضطراب في المسرحية لا بل اصفى عليها ظلا خفيفا من الابتغال الفني .

اما انا فقد قرأت « الايدي القذرة » بالفرنسية وقرأت ترجمتها العربية ثم شهدتها على المسرح الفرنسي ، كما شهدت الفيلم الذي استخرج منها ، وفي جميع هذه الحالات لم اشعر بان تقديم الزمن وتأخيرته قد احدث فجوة او اضطرابا في سياق التمثيلية . وعلى كل ليس هذا بالمهم . ان اهمية « الايدي القذرة » تتجلى ، كما تلاحظ نازك ، في بنائها المسرحي المتماسك وتكوين الشخصيات وعمق الفكر .

وللدلالة على ذلك ، تقدم لنا الناقدة تحليلا دقيقا لاقطاب المسرحية الثلاثة : هوفو ، هودرر ، جسيكا ، كما تكشف النقاب عن نفسية الابطال الثانويين امثال لويس وسليك وجورج واولفا ، وتخلص السى الكلام عن الاراء السياسية والفلسفية التي بثها سارتر في روايته التمثيلية .

لا بد من الاعتراف بان نازك نجحت الى اقصى حد في تحليل ابطال الرواية وتشريحهم والنفاذ الى اعماق ضمائرهم ، مستخرجة مفسزى اقوالهم وتصرفاتهم ومفسزى كل شاردة وواردة تصدر عنهم .

فكانها تدخل جلدهم وتعيش في وجدانهم وتسلط اشعتها الكشافة على ادق مايجول في ذهنهم ورواسب لاوعيمهم ..

ويخرج القارئ من هذا التحليل النافذ المستفيض وكأنه قد عاش من جديد مع نازك ماساة ، هوفو وهودرر وجسيكا من الداخل ، عاشها بعطف وتفهم وكثافة واستنفذها الى اخر هنة من هناها ونفذ السى ابعاد ما تعبر عنه الالفاظ التي يتفوه بها هؤلاء الابطال ، والى اعماق ما تفضح عنه حركاتهم وافعالهم ..

ثم يشعر القارئ بانه مدين لنازك ومعجب بها ، لانها قدمت له هذه المتعة النادرة ، متعة النفاذ الى اعماق شخصيات غنية باحاسيسها وابعادها وافكارها وخلجاتها وتحاكها فيما بينها وتجاربها ، غنيصة بمماتاتها الوجود البشري وما يتضمنه من قوة وضعف ، وتصميم وتخالل ، واثمان وياس ، وظلم وثورة على الظلم ، وتيارات نفسية وايدولوجية متصارعة ..

ليس لنا ما يندبه بصدد تحليل شخصيات المسرحية سوى اعجابنا ببراعة نازك وقدرتها الخارقة في هذا الميدان .

ولكن عندما تنتقل الى الكلام عن الافكار السياسية والفلسفية التي تشكل محور « الايدي القذرة » ، نراها تقف موقفا غامضا فنكتفي بتبيان تلك الافكار وشرحها دون ان تعلق عليها و تبدي رأيا فيها ، رغم خطورتها القصوى . هنا يتساءل القارئ : هل تؤيد الناقدة النظرة الفلسفية التي تنطوي عليها هذه المسرحية ؟ الا يعني صدولها عن نقد تلك النظرة انها تنبأها بدورها ؟

ان شخصية هودرر تمثل في نظر نازك الملائكة فكرة « الاخلاق للانسان » ، في حين ان شخصية هوفو تمثل فكرة « الاخلاق للاخلاق » . وهذا صحيح .

ولا ريب ان نازك نجحت في ابراز الفارق بين الفكرتين . فقد اوضحت ان هودرر يعتبر الحزب الشيوعي (الذي ينتمي اليه ويلصب دورا رئيسيا فيه) وسيلة لاغاية .. وسيلة لخدمة المجتمع والانسان ، وبالتالي يجب ان يستولي الحزب على الحكم لتحقيق مهمته ، ويجب الا يقف عند اي رادع اخلاقي يحول دون هدفه ، لان الاخلاق هي ايضا ،

والتعمق في هذه المعرفة وتطبيقها في الحياة . ذلك مانسميه الاخلاق .
صحيح ان معرفة الخير من الشر كانت بدائية في العصور البشرية
الاولى ، وصحيح انها نمت وازدادت عمقا وصفاء مع الزمن ، ولكن
الجوهر لم يتبدل ولن يتبدل . وبمقدار ما توصل الانسان الى تنمية
اخلاقه وتنقيتها ، بقدر ذلك حقق سعادته .

من المحال ان نفضل السعادة عن الاخلاق ، اذ ان السعادة حالـة
داخـلية نفسية اكثر منها خارجية مادية . ليست السعادة الحقيقية
في تأمين الرفاهية المادية والحصول على اللذات فحسب ، بل هي
قبل كل شيء التوفيق بين معرفة الخير وسلوك الطريق المؤدي اليه ،
اي تحقيق الانسجام بين ضمير الانسان ومعرفته .

رب غني يشقى طوال حياته رغم كل ماله من مال ومتع . ورب
فقير يعيش سعيدا رغم كل ما يعانيه من حرمان .

نقول ذلك لا للدفاع عن النظام الرأسمالي المهترئ وتكريس استثمار
الانسان لآخيه الانسان . فنحن نؤمن بالاشتراكية ونعمل لها ونعتبر ان
خيرات الارض والانتاج يجب ان توزع على جميع الناس لينال كل فرد
ما يحتاجه منها وما يستحقه . ونعتبر ايضا ان سعادة الافراد تبقى اجمالا
بعيدة المنال اذا لم يحصلوا على مستوى معقول من العيش .

ولكن الشيء الذي نود ان نشدد عليه هو ان السعادة ملازمة للاخلاق .

- التتمة على الصفحة ٦٧ -

كالاحزاب ، وسيلة لخدمة الانسان وتحقيق سعادته . واذا احتاج الحزب
الى التضحية بالاخلاق والطهارة والى غمس ايديه في الدم والاقذار
للوصل الى الحكم ، فينبغي الا يتردد في ذلك هنيهة .. في حين
ان هوغو يفضل ان يبقى الحزب نقياً غير مشوب ولو ادى ذلك الى
ضياع « الفرصة الذهبية الوحيدة لامتلاك زمام الحكم » ..

وتوضح الناقدة نظرية هودرر اكثر فاكثر فتقول ان الاخلاق فسي
نظر هذا البطل « لامتلاك الخير الا بالنسبة لما تحققه من خدمة
للانسانية ، وعلى الناس الا يترددوا في التخلص منها حين تصبح عبثا
في اعناقهم يشغل موكب المجتمع عن الاندفاع نحو الكمال .. »

وهكذا نصل الى المبدأ المكيافيلي المعروف : « الغاية تبرر جميع
الوسائل » . ولكن ما رأي نازك الملائكة فيه ؟ ما رأيها في فلسفة هودرر
التي تشرحها لنا بدقة وعمق ؟ لاندرى بالضبط اذ انها تمتنع عن ابداء
اي رأي شخصي ، في حين ان من واجبه كناقدة ان تقول كلمتها في
الموضوع ، خاصة وان بلدها العراق يطبق فيه الشيوعيون منذ اشهر
نفس الفلسفة التي وضعها سارتر على لسان هودرر .

واكثر من ذلك : ان نازك ، في تحليلها شخصية هودرر ، شددت على
صفاته النادرة : قوة منطقته وارادته وتفهمه العميق للناس ورجولته
النايضة وصراحته ونبل سلوكه .. انها تصوره لنا بشكل يدلنا على
انه اثار اعجابنا ويدفعنا بدورنا على الاعجاب به .. ثم تشرح فلسفته
باسلوب اخاذ يحرك القارئ ويهيئه لتقبل مبدأ الغاية تبرر جميع
الوسائل ..

لا نقول ان نازك تحب فلسفة هودرر ، ولكن صدوقها عن « تقييم »
هذه الفلسفة يثير بعض التساؤل حول موقفها . ولعل وجودها في
العراق عندما كتبت الدراسة التي نحن بصددتها هو السبب في امتناعها
عن نقد تلك النظرية التي شاعت الظروف ان يطبقها الحزب الشيوعي في
بلاد الرافدين حيث ضرب بجميع القيم الاخلاقية عرض الحائط وانفمس
في الدم والاقذار « حتى الرفق » ، لا بل حتى الرأس ، واطهر
من روح الاجرام والبربرية ما يذهل العقل .. كل ذلك ليستولي على
الحكم ، معتقدا ان « الفرصة الذهبية » قد سحبت لاستلام المبادرة
والقبض على زمام الدولة . فكان شيوعي العراق يطبقون اليوم حرفيا
تعاليم هودرر التي هي في الحقيقة النهج الذي طبقه البولشفيك ، وبنوع
خاص ستالين ، واصبح فيما بعد النهج الشيوعي الكلاسيكي الذي تمشى
عليه جميع الاحزاب الماركسية التابعة لموسكو .

لتسمح لنا نازك اذا بان تناقش هذا النهج بدلا منها وان نبين ما ينطوي
عليه من ضلال وتشويه .

من الجائز القول ان الاحزاب والانظمة والحكومات والقوانين ليست كلها
الا وسائل لتحقيق هدف واحد هو سعادة الانسان . ولكن هذا القول
لا ينطبق على القيم الاخلاقية خلافا لما يؤكده هودرر وتبرزه الناقدة في
دراستها . ذلك ان طبيعة القيم الاخلاقية تختلف جوهريا عن طبيعة
الاحزاب والانظمة والحكومات والقوانين وان كانت هناك رابطة بسين
الطرفين . الاخلاق تشكل عنصرا تكوينيا في الانسان وسعادته ، بينما
الاحزاب والانظمة والحكومات والقوانين امور خارجية يستنبطها الانسان
ويحورها ويبدلها وفقا لحاجاته وتطوره .

الاخلاق هي العنصر التكويني الذي يميز الانسان عن البهيمة .
لا الحياة البيولوجية تميزه ولا الوعي والذكاء . هذه العناصر نجدها ايضا
في البهيمة . ولكن الشيء الذي لانجده فيها هو معرفة الخير من الشر

كتاب السعة (الظفر والكلاب)

يتم

اللائحة

روافعها ومراميرها

عنوان عريب
لكتاب عريب

قدم له :
محمود جمبول

ترجمة دار الثقافة
بيروت

دراسة علمية للحكم الشيوعي في
محمد ستالين وبعده ، وتحليل
رئيسا للحسا كل التي عاناه في
الحطين الداخلي والخارجي

مطبوعات

قرأت العدد الماضي من الآداب

— تنمة المنشور على الصفحة ١٢ —

فاذا تخلصنا من الاخلاق ونفيناها وغمسنا ايدينا في الدم والاقنار حتى المرفقين ، نفينا السعادة في الوقت نفسه .

لن نصل الى الخير عن طريق الشر ، ومن الشطط القول ان القيم الاخلاقية في النظام الرأسمالي والمجتمع البورجوازي قيم مزيفة يجب ان نسفها من الاساس لكي نتمكن من بناء قيم جديدة صحيحة في المجتمع الاشتراكي او الشيوعي العتيد . فالقيم الاخلاقية كانت قبل النظام الرأسمالي والمجتمع البورجوازي وستبقى بعدهما الى ما لا نهاية له . واذا كان البورجوازيون يشوهون هذه القيم ويصلبونها مرارا كل يوم فهذا لايعني انها فاسدة ، مزيفة ، وان من الواجب نسفها .

ونحن اذ ندعو الى المحافظة على الاخلاق ، لانستهدف قط الحفاظ على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية البالية ولا نطلب من الجماهير ان تكون مائة خاملة وان تقبل الظلم والاستثمار . . بالعكس ندعو الى الثورة على الجمود والظلم ، ونذكر ان هناك حالات تستلزم اللجوء الى العنف لصد العنف . عندما تستبد اقلية انانية بالاكثية المحرومة في المجتمع ، وعندما تسعى تلك الاقلية لخنق حريات الاكثية وطمس امانيتها وتحطيم كرامتها والحيلولة دون تقدمها وخروجها من حالة البؤس والنل ، عندئذ يصبح من حق الاكثية وواجبها ان تثور للدفاع عن نفسها وان تلجأ الى العنف للتخلص من عنف الاقلية وبطشها وظلمها . . ان الثورة العنيفة في حالة كهذه تنسجم مع الاخلاق تمام الانسجام ، لا بل تنبع منها ، بدلا من ان تحطمها وتنفيها .

وعليه ، لايجب لاي حزب ، سواء اكان شيوعيا ام بورجوازيا ، ان يلجأ الى الثورة الدامية للاستيلاء على الحكم الا اذا كان يمثل الكثرة الساحقة من الشعب واذا كانت هذه الكثرة قد سلمته القيادة بملء حريتها واذا كانت الاوضاع لاتسمح بالتخلص من الظلم والبؤس وجور الحاكمين الا عن طريق العنف ، بعد استفاد جميع الطرق القانونية . . انذاك ، وانذاك فقط ، تكون الثورة اية ثورة ، نابعة من صميم الاخلاق ، ويكون بئس الدم واجبا وشرفا وبطولة ، لا جريمة وخيانة وبربرية . .

المادية الديالكتية ونظرتها الى التاريخ

اخذ السيد ايليا حريق على عاتقه ان يبين فساد الاساس الذي يرتكز عليه المذهب الماركسي، الا وهو الديالكتية المادية ، وان يبرهن ان هذه الديالكتية قد عمرت « فوق طاقتها على الحياة » .

يعترف الكاتب بادىء ذي بدء ان الماركسية ، رغم الجموح النظري الذي يميز مبادئها الفلسفية الاساسية ، استطاعت ان تنظر الى حركة التاريخ بعين نافذة ثابتة واقعية . . ثم يؤكد ان الاتحاد السوفياتي « هو اليوم الجبهة السياسية الوحيدة التي تتبع في سياستها نظرة تاريخية شاملة تستلهمها وتأخذ بنتائجها » .

ولكن فات الكاتب ان هناك جبهة سياسية اخرى ، لاتوازي الجبهة السوفياتية بقوتها وطاقاتها الاكساحية ، ولكنها تفوقها من حيث تركيز

السياسة على نظرة شاملة الى التاريخ ، واعني بها الجبهة الاشتراكية التي يجب ان تميزها عن الحركة الشيوعية .

فلااشتراكية الصحيحة ، التي تأخذ بعين الاعتبار ، واقع كل بلد وحاجاته وامكاناته وتحاول ان تنسجم معه وان تنبعث من داخله ، والتي تدرك انه من الخطأ ان نحاول فرض نظام واحد او مخطط واحد او توجيه « بابوي » واحد على كل البلدان او كل الاحزاب الساعية لبناء المجتمع الاشتراكي ، والتي تؤمن بان النظام الاشتراكي لايجوز تطبيقه ولا يرجى منه خير اذا ما فرض بالقوة من فوق على قاعدة شعبية غير مهيأة له وغير قابلة لهضمه ، بل ينبغي ان ينبع من القاعدة الشعبية ويجذب اكثريتها اليه قبل ان يطبق على يد القيادة الحاكمة ، هذه الاشتراكية تنظر الى التاريخ والى الكون نظرة اسلم واعمق من النظرة الشيوعية .

وينطلق السيد حريق الى تلخيص المبادئ الفلسفية الثلاثة التي يفسر بها ماركس والماركسيون الوجود والمجتمع ، وهي :

١ - مبدأ الانتقال المفاجيء من الحكم الى النوع .

٢ - مبدأ التناقض الضمني القائم في جميع الوجودات ومظاهر الطبيعة .

٣ - مبدأ تناقض التناقض .

ثم ينتقد الكاتب هذه المبادئ انتقادا سريعا ويظهر فسادها ، مستندا الى ما طالع من الكتب او الدراسات الموجزة المتعلقة بالماركسية .

واول انطباعة تتركها قراءة هذا المقال في ذهننا هي انه يبالغ في الديالكتية المادية معالجة سريعة لاتخلو من العمق احيانا ، ولكن تشوبها السطحية احيانا اخرى ، وهي ناقصة على كل حال .

كان من الانسب ان يختار السيد حريق نقطة واحدة او مبدأ واحدا من مبادئ الفلسفة الماركسية وان يعالجه في الصفحات الاربعة من مجلة « الآداب » التي يحتفلها مقاله . اما وقد اختار معالجة الديالكتية المادية كمذهب فلسفي ونظرة الى التاريخ والمجتمع ، فكان عليه ان يتعمق في تحليلها اكثر مما تعمق وان يتوسع في شرحها واستيعاب مختلف نواحيها اكثر مما توسع ، كي يأتي بحثه بحثا علميا مستوفي الشروط .

ومهما يكن من امر ، نرى انه اغفل نقطتين مهمتين عند نقده ما اسماه المبادئ الثلاثة التي يفسر بها الماركسيون الوجود والمجتمع .

النقطة الاولى تتعلق بالحتمية التي يفترضها تفسير الكون والوجود والمجتمع تفسيرا ماديا . ينطلق التفكير الماركسي من التاموس الفيزيائي - الكيميائي الذي يمكننا ايجازه بما يلي : لناخذ عددا من العناصر المادية كالكاربون والازوت والاكسوجين والهيدروجين مثلا . . اذا ادركنا صفات كل عنصر من هذه العناصر وميزاته وطاقته ، نستطيع ان نعرف مسبقا نتائج اندماجها ببعضها البعض . وبعبارة اخرى ، يكفي ان نذكر المعطيات والاسباب لنذكر مقدما النتائج . وهذا مايفترض وجود حتمية في عالم المادة .

ياخذ ماركس بهذا المبدأ الفيزيائي - الكيميائي ويحاول تطبيقه على المجتمع البشري ذاته ، فيقول ما ملخصه : عندما نذكر ميزات القوى البشرية والاقتصادية والسياسية او الفكرية والعقائدية التي يتكون منها مجتمع ما ، نستطيع ان نذكر مسبقا ما ستؤدي اليه هذه القوى من

ظلام في النهار

ياتي تحليل كتاب ارثر كستلر «ظلام في النهار» بقلم السيد محمود حيدر مؤيدا كل التأييد للمأخذ الاساسية التي اخذها الدكتور عبد الله الدائم والسيد ايليا حريق على الشيوعية ، وللملاحظات التي ابدتها شخصيا بهذا الصدد .

وليس لنا ما نبديه في موضوع تحليل هذا الكتاب وتفسيره سوى الاعتراف بان السيد حيدر وفق في مهمته على اكمل وجه ممكن وقدم لنا دراسة تحليلية مستفيضة مطمئنا فكرة واضحة وعميقة عن رواية كستلر الرائعة ، فاستحق شكر قراء «الاداب» .

ونرى من المفيد ، في ختام جولتنا النقدية ، ان نستشهد حرفيا بالمقطع الذي ابرز فيه السيد محمد حيدر الفكرة الاساسية التي تستند اليها رواية كستلر . يقول السيد حيدر :

« ان الناظم الاساسي للرواية هو فكرة الحرية . وما يريد المؤلف على وجه الدقة ، كما نرى ، هو : ان الحرية هي وتظل دائما وسيلسة الانسان الوحيدة للمعرفة والتقدم . واية مكتسبات تتعلق بالحرية لايجوز التخلي عنها بحال من الاحوال ، لغناء افتراضات موهومة تحت شمعار : ازدهار مقبل ، عالم افضل !! . لان هذا العالم الافضل المقترض - حتى لو كانت النية سليمة - سيؤول الى الخطا لانه امتداد لجبل حرم من جو الحرية .. »

هذا المقطع يصلح ان يكون خاتمة لكل بحث نقدي يتناول الشيوعية وغاياتها ومبادئها والفظائع التي رافقت تطبيقاتها في مختلف بقاع الدنيا .

موريس صقر

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

ما هو الكتاب المقدس	دانيال روبس
لبنان حضارة وجمال	جوزف صدقي
نحن بلا اقنعة	ليلي بعلبكي
صديقتي الشجرة	ميغو دروييه
دفاعا عن اللغة العربية	كمال الحاج
بين الجدران	سليمان الحاج
من لغو الصيف	طه حسين
حزن في ضوء القمر	محمد الماغوط
صباح الخير	مارك الرياشي
انا خاطئة	بيار روفائيل
الصناعة والتجارة	كامل المقدم
كتاب مختصر الشريعة	الطران بولس تراعي
ازمة الانسان الحديث	تشارلز فرنكل
النزاعات في شؤون الاستملاك	ميشال كامل الخوري
فضايا الاستملاك	ميشال كامل الخوري

نتائج في المستقبل . وهذا مايفترض وجود حتمية في المجتمع والتاريخ . صحيح ان ماركس يترك لارادة الانسان دورا تلعبه في التاريخ . ولكن هذا الدور يقتصر على استعجال تطور المجتمع وتطور التاريخ المعروف مسبقا ..

ان الاكتشافات العلمية والابحاث الفلسفية الحديثة والتجارب الاخيرة توصلت الى هدم فكرة الحتمية هذه ليس فقط في المجتمع البشري ، بل في عالم المادة نفسه . لقد تبين بصورة لا تقبل الجدل ان الحرية تلعب دورا رئيسيا في تطور المجتمع البشري . فالمجتمع هو واقع حي تفعل فيه عوامل وارادات لاحد لها ولا احصاء ، عوامل داخلية وخارجية ، نفسية ومادية ، فردية وجماعية ، تنسجم مع بعضها احيانا ، وتتصارع احيانا اخرى ، فتولد دوما عوامل جديدة ومعطيات جديدة لا يستطيع المرء مهما كان عبقريا ورائيا ان يتوقع ظهورها كلها مقدما ولا ان يدرك مقدما كل ماستحدثه من تأثيرات وردات فعل ..

واذن فهناك مدى واسع في تطور التاريخ والمجتمع يعجز العقل عن استيعابه والتنبؤ بما هو وما سيكون ، مدى تلعب فيه الحرية والظروف والصدف ويبقى سرا جاريا مع التاريخ الى نهاية مظاف البشرية .

ومن جهة ثانية ، اثبتت الاكتشافات العلمية الحديثة ، وخاصة اكتشافات آنتستين ، ان الذرة نفسها ، وهي اخر وحدة مادية توصل اليها التحليل العلمي «الميكروكوسم» ، لا تتربك مع غيرها من الذرات بشكل حتمي يخضع الى نوايس مادية نهائية ، بل ان هناك عنصرا مجهولا ، يمكن ان نسميه عنصر الغيب او الحرية ، يظل يلعب دورا غامضا في ذلك التركيب .

اما النقطة الثانية التي نود توضيحها فهي تتعلق باخر ما توصل اليه منطق ماركس في نظريته الى التاريخ .

بعد ان فسر ماركس التاريخ تفسيرا ديالكتيا ، مشددا على اهمية العوامل الاقتصادية والوسائل الانتاجية في الانتقال من مرحلة الى اخرى ، اي من الدور البدائي الى الدور الاستعبادي ثم الدور الاقطاعي ، والدور الرأسمالي فالدور الاشتراكي ، وبعد ان نقض الدين والانظمة الاقتصادية والسياسية والحقوقية القائمة في عصره واكد ضرورة تعديدها والانتقال منها الى النظام الاشتراكي فالشيوعي ، انتهى به تفكيره الى الخلاصة التالية التي نوجزها بكلمات :

ان كل ما بنته البشرية حتى اليوم من حضارات وتراثات واديان ومبادئ اخلاقية لايتضمن اية قيمة تاريخية ، ولا هو بالتاريخ الصحيح . ان تاريخ الانسانية الصحيح لن يبدأ الا عند تحقيق المجتمع الشيوعي الذي فيه تنحل جميع المشاكل وتزول التناقضات وتحقق السعادة نهائيا .. وبالتالي فكل ماسبق هذا المجتمع المرتقب انما هو كالتوافل الذي يجب ان تطرح جانبا وتزول ، حتى الاجيال البشرية نفسها التي تعاقبت منذ ظهور الانسان في الكون الى اليوم ، والتي كدحت وشقيت رافقت ذاتها لتقديم الجنس البشري ودفعه الى الامام ، حتى هذه الاجيال قيمة لها اذا نظرنا اليها من زاوية اخر ما توصل اليه المنطق الماركسي .

وهذا لعمرى مايفسر «نيهلية» الشيوعيين وامانهم في هدم جميع المعتقدات والقيم الاخلاقية والتراثات اذا اقتضى الامر ، من اجل «الفردوس» الذي تخيله نيهم الاكبر .